**محاضرة**  **3**

## - الأقنعة و التعويذات والتمائم :

أدى الخوف من المجهول و الأخطار التي كانت تهـدّد الإنسان في بلاد المغرب القديم ككل الشعوب في مراحلها الأولى إلى اللجوء إلى ارتداء الأقنعة و اتخاذ التعويذات و التمائم من أجل طرد الأرواح الشريرة و التقرب من الأرواح الخيّرة بحثا منه عن الاطمئنان في حياته ، فارتدى الأقـنعة و تنكّر في شكل حيوانات ضخمة مفترسة بوضعه جلودها و القيام بحركات ورقصات سحرية يلعب فيها الخيال دورا كبيرا (1) ،و هي بذلك تقوم بدور وسيلة دفاع بواسطة التمويـه كي لا تتـمكّن الأرواح الشريرة من معرفتهم(2)، أو قد يكون ارتـداء الأقـنعة كما في الرسوم الصخرية للتشـبّه بالحيوانات الآلهة ، و من الأمثلة على ذلك ، النقوش التي تم العثور عليها في موقع المقطع ( El-mekta ) جنوب تونس ،أين تتوفر نماذج عديدة لها ، ،و كذلك الحجر الجيري المشكّل في صور معينة ربما تمثل أقنعة إنسانية أو حيوانية ،و أحيانا كانت تمثل عضو التذكير أو رموز أخرى(3) ،و قد كان يتم اتخاذ الأقنعة حسب ما تظهره الرسوم و النقوش الصخرية من طرف أشخاص منفـردين أو ضمن مشاهد جنسية أو في وضعيات رقص فردية أو جماعية (4).( الشكل3، أ ، ب ، ص. 42 )

و يرجع الكثير من المؤرخين أصول تلك الممارسات الى عصور موغـلة في القدم ،كما يمكن التساؤل عن إمكانية حدوث تأثيرا ت سودانية في هذا المجال ، قد تكون تداخلت مع بعض الطقوس المحلية و عرفت تغييرات مما يصعّب من معرفة أصولها الأولى(5) .

إضافة إلى ما أشرنا إليه فقد اتّخذ سكان المغرب القديم منذ عصر الحجارة التمائم والتعويذات(6)،

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) غانم محمد الصغير ، " بعض من ملامح ... " ، ص . 61 .

# (2) جباوي علي ، المرجع السابق ، ص 200 ؛ - Lequellec( J.L. ) , Op- Cit., P. 293 .

(3) الناضوري رشيد ، تاريخ المغرب الكبير ... ، ص . 119 .

(4) –Lequellec( J. L. ), Op- Cit., P. 554 .

(5) – Gsell( S. ), H. A. A.N , Hachette , Paris , 1927, T6 , PP. 122 - 124 .

(6) التعويذات : تسمى كذلك أحراز و مفردها حرز ، و تحمل معنى الحفظ و الصيانة و التوقي ، و الموضع الحصين . ابن منظور أ المصدر السابق ، ج 4 ، ص . 84 ؛ وتطلق عليها باللغة الدارجة تسميات عديدة فتعرف كذلك بالحروز أو حجاب أو وعدة أو نفرة . للمزيد انظر :

- Doutté ( E. ) , Magie et Religion dans L’Afrique du Nord , Typographie Adolphe-Jourdan ,

Alger , 1909 , PP. 147 - 153 .

# التي كانوا يصنعونها بأنفسهم من مواد عديدة ،كالقواقع و الجلد و بقايا بيض النعام فيبدو أنه كانت للتمائم وظائف وأدوار متعددة ، يأتي دور الحماية في مقدمتها ، فقد كان الإنسان المغـاربي القديم يؤمن بفعاليتها في إبعاد القوى الخفية الشريرة التي من المحتمل أن تهدد حياته و أمنه، و يؤكد العثور عليها مثقوبة بأنه كان يحملها بخيط أو ما شابهه فيمرره في تلك الثقوب لتـرافقه في مختلف تنقلاته و تكون معه بشكل دائم مما يجعله يشعر بالأمن(1).( الشكل3، ج، ص. 42 )

و يرى البعض أن دور الحماية الذي تلـعبه التمائم آت من دورها كممر لقدرات و سلطات إله أو جني ، أو قد يتم فيها تركيز قوة غير مجسدة(2)، في حين يرى آخـرون مثل(ج .ش بيكار)بأن الأداة

(L’objet ) التي تم اتخاذها كتميمة تمثل قيمة في حد ذاتها(3). وقد يكون أناس ما قبل التاريخ اعتبروها كأرواح (Comme des Fétiches ) و ليست مجرد حوا مل لها(4) .

كما يلاحظ أن بعض التمائم يمثّـل ظاهرة الخصوبة بهدف تأكـيد الصفة من أجل الحفاظ على كيان الإنسان و استمراره(5)،و تعـود ممارستـها الى فترة مبكرة جدا ، و ذلك من خلال استخدام تعويذات تجسد أجزاء من الجسم البشري ، خاصة منها الأعضاء التناسلية أو أجزاء أخرى كالأرجل و الأيدي، و التي قام خلاف حول وظيفتها ورمزيتها بين أن تكون سواء في القديم أو حديثا ترمز إلى الخصوبة كما يرى( د. جوبير)( Dr Gobert ) أو أنها استخـدمت من أجل الحماية ضـد العين الشريرة أو ضد الإصابات السيئة للمقدس ،كما يذهب اليه آخرون.(6)

و يمكن أن تدخل ظاهرة التشويه الضرسي كذلك ضمن تلك الممارسات ،حيث كانت تقتلع في الغالب قواطع الفك السفلي للإناث في الحضارة القفصية(7)، و هي تختلف عمّا مارسه إنسان الحضارة الإيبيرومغربية من نزع أسنان الفك السفلي و العلوي بالنسبة للنساء(8)، و استمر يمارسها حتى العصر

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) الناضوري رشيد ، المدخل في التطور ... ، ص . 31 .

(2) - Gsell ( S. ) H. A. A. N. , T.6 , P. 124 .

(3) - Picard ( ( G. Ch. ) , Op - Cit. , P. 13 .

(4) - Gsell (S. ) , H. A. A. N. , T.1 , P. 244 . (5) الناضوري رشيد ، المدخل في التطور ... ، ص . 32 .

(6) - Picard ( G. Ch. ) , Op - Cit. , P. 14 . (7) سحنوني محمد ، ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 ، ص . 125 .

(8) بالو ليونال ، الجزائر في ما قبل التاريخ ، ترجمة غانم محمد الصغير ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2005 ، ص. ص . 103 ، 137 .للمزيد انظر.

– Camps ( G. ), Les civilisations préhistoriques de l’Afrique du nord et du sahara, éd. Doin,

Paris, 1974, Tab no 14, P. 98 , Tab no 23, P.175 .

النيوليتي ،أما السن الذي كانت تتم فيه تلك العملية فهو عموما سن البلوغ مع اختلافات بسيطة بين عشيرة و أخرى(1) ، و إن كان من الصعب معرفة دلالة هذه الممارسة فمن المحتمل أن تكون بهدف الخصوبة(2)، أو أنها كانت مرتبطة بأحد طقوس التعدية ( المرور )(3). (الشكل 3 ، د ، ص. 42 ) .

مما سبق يتضح أن دور الحماية للتعويذات والتمائم كان أسبق وأكبر أهمـية من كونها أدوات للزينة ، و مما يؤكد ذلك استمرار الظاهرة و صمودها حتى اليوم (4)، ويسـتدل كذلك على مكانتها المتميّزة و اتساع انتشارها في المغرب القـديم ،باحتواء بقايا المقابر الكـثيرة على تعويذات لحماية الأموات ومرافقتهم في العالم الآخر، إلى جانب توفرها في العديد من الرسوم و النقوش الصخرية(5).

و من غير المستبعد أن الليبيين القدماء عرفوا ممارسات وطقوس سحرية أخرى لطرد الشرور بمختلف أشكالها ،إلا أنها تدخل في ميدان الإتنوغرافيا و الأنثربولوجيا أكثر منها في مجال التاريخ لأن معرفتنا بها تنحصر في وجودها بشكلها الحالي (ق19، ق20 ) و تفتقد إلى معالم تأريخية و نجهل تماما متى تمّ تبنّيها من طرف السكان المحليين ومتى عرفت تغييرات على أصولها الأولية ، إلا أن بعض المؤرخين لا يستبعد أن أصولها تعود إلى عصور موغلة في القدم(6).

و من تلك الممارسات " النشـرة "(7) التي هدفها إبعاد المرض بقوة سحرية ،فيضـحّى بحيوان كالديـك أو الدجاجة أو الماعز أو الحمل ، و يتم وضع قليل من دم الضحية على جبهة المريض أو قليل من زيت فانوس الضريح أو قليل من مصدر الماء المبارك ،كما يعني "إعطاء النشرة " تقديم شيء من المال،و يلاحظ أنه رغم اختلاف التسميات حسب اختلاف المناطق ،فالنشرة بمعناها المجرد عبارة عن طقس يقع من القوة السحرية التي تطرد المرض و الجنون وإبعاد لعمل قام به الجن(8) .

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) – Ibid, P. 97 .

(2) بالو ليونال ، المرجع السابق ، ص . 103 .

(3) – Camps ( G. ), Les civilisations…, P. 98 .

(4) جوليان شارل أندري ، المرجع السابق . ص . 77 .

(5) - Camps ( G. ) , Aux Origines de La Berberie, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques , Arts et Métiers Graphiques, Paris , 1961 , P.536 .

للمزيد حول الأقنعة في الرسوم و النقوش الصخرية انظر: - Lequellec ( J. L. ), Op- Cit. , PP. 265 -293 .

(6) - Gsell ( S. ) H. A. A. N. , T.6 , P. 122.

(7) النشرة : لغة مشقة من الفعل " نشر " عن المجنون أي عوّذه بالنشرة بإبعاد السوء عنه . انظر للمزيد . الطاهر عبد الجليل ، المجتمع الليبي ( دراسات اجتماعية و أنثروبولوجية ) المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، 1969 ، ص 173 .

(8) نفسـه ، ص ص . 173 - 174 .

**أ**  **ب** 

**أ ، ب : نماذج من الأقنعة التنكّرية .**

**- المصدر: أ : - Lequellec ( J. L. ), Op – Cit, P. 546 .**

**ب:** **- Hachid (M. ) , Op – Cit , P. 88**

 

**ج :نماذج من الحلي و التمائم د : جمجمة لإمرأة من الحضارة القفصية**

**و الأصداف البحرية المتحجرة . العليا من موقع خنقة المهاد يظهر عليها**

**- المصدر: بالو ليونال،المرجع السابق،ص. 168.** **ممارسة طقس نزع القواطع و النابين السفليين .**

**- المصدر : te osseuse du**ê- **L. Cabot Briggs, t**

**Khanguet-el-Mouhaâd, Libyca, T1, 1953,P. 135 . – الشكل رقم 3 : نماذج من الأقنعة التنكرية و التمائم و نزع الأسنان .**